مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 06 العدد: 01- (2022) ص 224- 237

# السلطة الحجاجية لبلاغة الصّمت في الخطاب القرآني

# The argumentative authority of the eloquence of silence in the Qur'anic discourse

د .بختي العياشي *
جامعة الجيلالي بونعامة ، خميس مليانة ، الجزائر

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/07/06
تاريخ القبول:
2021/12/08

**الكلمات المفتاحية:**
- ✓ الايجاز:
- ✓ الحذف
- ✓ الإضمار
- ✓ المتلقي

الملخص:

لا مُشاحة أنّ مصطلح الحذف له نصيب أوفر في البلاغة العربية، بل يُعدّ طيفًا من أطياف الخطاب العربي؛ لأنّه يُعنى به النّحوي والبلاغي والأسلوبي والتّداولي، فهو يحمل معه معانٍ وأغراض ومقاصد كثيرة تتعطش لها النّفس، وتطمح إلى الارتواء من منابعه؛ لأنّ النّفس بطبعها دائما تتجنّب المَلل والضّجر، والعرب على سليقتهم الأولى أولوا أهمية بالغة لهذه الظاهرة، والحذف في كتاب الله على ثمانية أقسام التي ذكرها الزركشي في كتابه البرهان ، ونكتفي نحن بدراسة ثلاثة أشكال وهي على التوالي : الحذف اللفظي والتركيبي بوصفهما حذفا بالمقياس النحوي ، وأخيرا الحذف بالاحتباك الذي يُعد ألطف أنواع الحذف في المقياس البلاغي ، والغرض من هذه الدراسة الكشف عن الوظيفة التواصلية الإقناعية ، ومعرفة مدى عمق المعاني التي تحدثها بلاغة الصمت في التمثيل القرآني ، وهذا طبعا دون إهمال السياق العام للآيات كشرط ضروري لتحقيق الفهم والمعنى الدلالي الذي تصبو إليه الآيات، وهذا هو عمادة الكلام وأبلغ محلّ عند العربي.

*Article info*

*Received*
*06/07/2021*
*Accepted*
*08/12/2021*

**Keywords:**
- ✓ *omission*
- ✓ *ellipse*

*Abstract :*

*It is obvious that the omission procedure has its place in Arabic rhetoric, but it is rather considered as an aspect of Arabic discourse linked to the domain of grammar, rhetoric, stylistics and pragmatics, because it carries with it many meanings as well as aims so much coveted by the soul because man by nature always tends to avoid boredom and weariness. And the Arabs, in essence, attached great importance to the procedure of omission in the sacred text in two forms: The first concerns the verbal and*

* - المؤلف المرسل.

*syntactic omission, while the second relates to the semantic omission which will take a large part of our study. The latter calls on the addressee to implement his idea to understand the verse without of course neglecting the general context of the verses as a sine qua non condition for achieving the understanding and meaning of the verses, and that is the rhetoric of speech for the Arab individual.*

✓ *condensation,*
✓ *addressee*

**1. مقدمة:**

اهتم العرب منذ القدم ببلاغة القول والذوق السليم الذي لا يغادر طبيعتهم الفطرية ، فهي الملكة الفذّة التي جُبلوا عليها دون سائر الأمم، ولعلّ البواكير الأولى في تعريف البلاغة يرجع لعبد الله بن المقفع، هذا ما أخبر به الجاحظ في كتابه البيان والتبيين بقوله:" البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ،ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا ، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل ، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى ، والإيجاز هو البلاغة"1، يخلص من قول ابن المقفع أنّ البلاغة لم يحصرها في فنّ القول الجميل، بل تعداها إلى فنّ الإشارة والصّمت وجميع الخُطب والرسائل التي يستخدمها المتكلم والمتلقي في التّواصل والاتّصال.

كما وردت بعض المصادر في الموروث البلاغي أنّ معاوية بن أبي سفيان قد أعجب بفصاحة صحار بن عيّاش العبديّ قائلا :"ما هذه البلاغة التي فيكم ؟ قال صحار: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه ألسنتنا فقال له معاوية: ما تعدّون البلاغة فيكم ؟ قال الإيجاز . قال له معاوية : وما الإيجاز؟ قال صحار: أن تجيب فا تبطئ، وأن تقول فلا تخطئ2. وهذه أصدق شهادة على أنّ البلاغة ما هي إلا إحساس تعبيري عميق تظهر بمكانة الاتصال والتواصل الذي بهما تتحقق أغراض البشر.

**2. بلاغة الإيجاز بالحذف في الموروث العربي والخطاب القرآني :**

لقد حظي مصطلح الإيجاز بعدة أسماء كالحذف ، والاختصار، والكناية ، والرمز والقِصَر و غيرها ، لهذا يُعد الإيجاز نوع من الفنون البلاغية الذي اعتنى به البلغاء والفصحاء العرب ؛لأنه لغة يوصل بها المعنى إلى المتلقي في حلّة جمالية وتأثيرية، فإذا " قصدوا الإيجاز أتوا بألفاظ استغنوا بواحدها عن ألفاظ كثيرة ، كأدوات الاستفهام والشروط وغير ذلك. فقولك: أين زيد؟ معنٍ عن قولك أزيد في الدار أم في المسجد، إلى أن تستقري جميع الأماكن. وقولك : من يقم أقم معه، معنٍ عن قولك، إن يقم زيد أو عمرو أقم معه. وما بالدار من أحد، معنٍ عن قولك: ليس فيها زيد ولا عمرو. فغالب كلام العرب مبني على الإيجاز والاختصار، وأداء المقصود من الكلام بأقل عبارة"3،لهذا عُدت البلاغة عند العرب هي الإيجاز.

أما ابن سنان الخفاجي في كتابه (سرّ الفصاحة) الذي جعل من شروط إتقان علوم البلاغة والفصاحة يكمن في الإيجاز والاختصار والحذف بقوله :"ومن شروط الفصاحة والبلاغة الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام ، حتى يعبّر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة . وهذا باب من أشهر دلائل الفصاحة وبلاغة الكلام عند أكثر الناس، حتى أنهم إنما يستحسنون من كتاب الله تعالى ما كان بهذه الصنعة"4. فشروط البلاغة والفصاحة عند ابن سنان مرتبط بمدى ما ينتجه كل من الاختصار والإيجاز والحذف من غموض دلالي ، يتطلب من المتخاطبين تحليلا دقيقا وفهما عميقا للإزاحة هذا الغموض .

إنّ السكوت لا يخلّ بنظام القول وبلاغته، بل يسعى إلى التّخلي عن الشّوائب التي يركن إليها الخطاب، وذلك برفض زوائده وفضوله وكل ما يحيل عن الغرض المقصود، فالإيجاز ماهو إلا " إخراج المعاني من قوالب ألفاظها الحقيقية الموضوعة لها، فإنّ الإيجاز إيجازيان: إيجاز مجازيّ، وإيجاز حقيقيّ، فما كان منه حقيقيّاً بقي عليه اسم الإيجاز، وما كان مجازيّا وضعوا لكلّ قسم منه اسم يخصّه ويناسب اشتقاقه، فإن المجاز إيجاز، وهو حذف الكلام لدلالة الباقي عليه، أو للاستغناء بالقرينة"5 .

أما صاحب كتاب الطراز فقسم الإيجاز إلى نوعين : إيجاز وحذف ، والحذف يكون في الجمل والمفردات والحروف ، أما الايجاز هو ما كان "من غير حذف " يقول فيه " اعلم أنّ الإيجاز ما لا يكون فيه حذف يُقدر، من مفرد ولا جملة، ويقال له إيجاز البلاغة ، وينقسم إلى ما يساوي لفظه معناه من غير زيادة، ويسمّى التقرير ،وإلى ما يزيد معناه على لفظه، ويسمّى القصر"6. ويصرح أيضا أنّ التّصور العملي الذي يأخذه الحذف لا يخل ببلاغة الكلام، بل يسعى إلى خلق صناعة كلامية يرتقي بها عن الكلام العادي قائلا:" اعلم أن مدار الإيجاز على الحذف،لأن موضوعه على الاختصار، وذلك إنما يكون بحذف ما لا يخل بالمعنى ولا ينقص من البلاغة، بل أقوال لو ظهر المحذوف لترك قدر الكلام عن علو بلاغته ولصار إلى شيء مُسْتَرَلٍّ مسترذل"7.

إنّ الحذف في القول يعطي للمتلقي فسحة خطابية تأويلية، ولا يتأتى في فهم المعاني والدلالات من الكلام الشريف إلا لفرسان البلاغة، ولا يتوقف دوره عند جمالية القول فحسب، بل يتعدى دوره إلى أن يعطف على القلوب وينبه الألباب ويحملهم على الاستمالة والتأثير، وهذا ما يؤكد حقيقته روبول ريكور بقوله :"فالإيجاز هام من زاوية تعنى الحجاج، لأنّه يشكّل سلاحا نواجه به العدوّين القاتلين النّسيان وعدم الانتباه، فالتّطويل في الوصف والتّصوير والإسهاب في الشّرح والتّعليل ينتهيان بالمتلقّي إلى الملل فتضعف قدرته على الانتباه ولا يحتفظ من القول إلا بأقلّه وحتّى هذا القليل معرّض إلى النّسيان لبعده عن الإيجاز"8 .كما تتجلى فائدة الحذف مقاصد وأغراض تُلقي بضلالها على المتلقي فيفتّش عن معانيها ويملأ فجوات الخطاب ؛أي أنه يقف على المعنى الحقيقي الذي استدعاه ذهن المتكلم، بل يمكن أن نقول بأنّه محاولة أسلوبية من أجل "الرّقي بالخطاب إلى مستوى تعبيري قادرا على شدّ انتباه المتلقي والتأثير فيه،أي الإقناع، فضلا عن استغلال سمات جمالية تُضفي على الخطاب سمات الجمال، أي الإمتاع"9 ، فدوره يكمن في تنشيط آلة ذهن المتلقي وإثارة أحاسيسه ومشاعره ، كما يفتح آفاقا جديدة في تقبل المعاني أو الدلالات وبيان غرض المتكلم.

لهذا تُعد بلاغة الصّمت سلاح الشّخص ودرعه الواقي، يستعمله حيث شاء، لأنّه قد "يُقلِب ويقنّع حقائق النّاس، فقد يسمَّى الغبيُّ على إثره عاقلاً، والصّامت حليمًا، والسّاكت لبيبًا، والمُطرق مفكرًا، والبليغ مكثارًا، والخطيب مهدارًا، والفصيح مفرطًا"(10)؛ لذا نجد الغاية التي يصبو إليها الحذف أنه يهتم بغزارة المعنى أكثر، وهو تحت طائل اللّفظ القليل، فيضفي جمالا وبيانا للّغة، وقد أُختصّ بالدراسة والتّعمق في دلائله؛ لأنّه يُعدّ أعجب المسالك في استحواذه على قلب المتلقي، فينال منه حظّاً ومنزلةً جراء حسن بيانه وسموّ بلاغته، يقول الجرجاني ـ رحمه الله ـ " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنك ترى به ترك الذِّكر أفصح من الذِّكر، والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تُبِنْ"(11). وهذا ما يؤكد لنا عن عبقرية اللغة وما تحتويه من أسرار كامنة ولطائف دقيقة تميزها عن بقية لغات العالم .

يُطال الحذف كما أشرنا سابقا الحرف أو المفردة، ولا يتوصّل إلى ملء هذا المحلّ الشاغر، إلا من توفرت فيه ملكة النّظر، دون إهدار المعيار النحوي الذي يكون ملازمًا له وضروريًا في البناء التركيبي للخطاب، والمتلقي حاضر الذهن يقول ابن وهب في هذا الشأن :" الإيجاز والاختصار والاكتفاء بيسير القول إذا كان المخاطَب عالما بمرادها فيه"(12)؛ بمعنى أنّ بلاغة الحذف تقوم على يسير الكلام، وحنكة المتلقي في فهم القصد والغرض منه.

أما وقعه في آي القرآن فله وقع خاص ، وهذا لما يحمله من معانٍ ترتفع بمستوى إدراك المتلقي، وهذا ما أشار إليه الشّريف المرتضى(436هـ) ـ رحمه الله ـ في أماليه " اعلم من عادة العرب الإيجاز والاختصار والحذف طلبًا لتقصير الكلام، و طرح فضوله، والاستغناء بقليله عن كثيره، يعدّون ذلك فصاحة وبلاغة، وفي القرآن الحذوف والاستغناء بالقليل من الكلام عن الكثير مواضع كثيرة نزلت من الحسن في أعلى منازله، ولو أفردنا لما في القرآن من الحذوف الغريبة، والاختصارات العجيبة كتابا لكان واجبا"(13). وهذه إشارة قوية أنّ بلاغة القرآن الكريم لا فضول زائدة فيه، ولا زيادة اللفظ على المعنى بغير فائدة.

أما في السنة الشريفة فقدوتنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان مثالا راقيا وعاليا في الإيجاز، وهذا ما نلاحظه عند سردنا لأحاديثه الشريفة، فلا حشو ولا إطناب مستكره ، بل تحكمها قلة المبني وعمق الفكر ودقة المعاني، ويقول ناعتوه في بلاغته انّه " كان طويل السكوت ،لا يتكلم في غير حاجة، ويتكلم بجوامع الكلم ، فصلٌ لا فضل ولا تقصير ، وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه، لا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه"14. يفهم من ذلك أن الحذف يرتكز على مدى إدراك ووعي المخاطب والمتلقي للخطاب ؛لأنّ الحذف "يداعب كبرياء أولئك الذين نخاطبهم ؛ إنه بتعويلهم على ذكائهم وباختزال الخطاب، يكسبه قوة وحيوية"15، وهذا يؤدي فعلا إلى الجمالية في الأسلوب والاستحواذ على قلب المتلقي والتأثير فيه.

لقد وُظّف الحذف في القرآن الكريم بصورة جليّة، لما يحمله من أغراض بيانية وإعجازية وحجاجية؛ لأنّه يعطي للقارئ مساحة تدبّرية وتأمّلية، ليقطف ثمار معانيه من تأثير في النّفوس وتغيير في السلوك، وقوة اقناعية تلزم المتدبر على الاستسلام والخضوع أمام آي القرآن الكريم والتأثر بها. والحذف أنواع منها : حذف الحرف ، حذف المسند إليه ؛أي الفاعل والمبتدأ، وحذف المسند وهو الفعل والخبر، وحذف التوابع كالمفعول به والصفة وجميع الزيادات، كما قد يحذف بعض الكلام لعلم المخاطب بها ، فلا يحتاج إلى تكراراها ، وسنتناول هذا النوع من الحذف ببعض الأمثلة في الجانب التطبيقي.

**3. سلطة الوعي بالمقام والسياق في فهم معنى الآيات:**

إذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية مرتبطة بثقافة مستعملها، فإنّ فكرة المقام "هي المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهو الأساس الذي يُبنى عليه الشّق أو الوجه الاجتماعي للغة، وهو الوجه الذي تتمثل فيه الأحداث والظروف والعلاقات التي تسود ساعة أداء المقال(16) . وعبّر عليه آخر، بأنه "علاقة لغوية وخارج نطاق اللغة يظهر فيها الحدث الكلامي"(17)؛ بمعنى أنّ اللّغة ماهي إلا رؤية إنسانية اجتماعية تعكس تاريخ وثقافة مجتمع ما ، والمقام هو الذي يصدر المعنى الدلالي للحدث الكلامي الذي يختلف بحسب المكونات الإدراكية للمتلقي.

لقد تحدث البلاغيون عن ثمرته من خلال أنواع المواقف التي يقتضيها الخطاب، ،لأنّ "مقام التشكر يباين مقام الشكاية ، ومقام التهنئة يباين مقام التّعزية، ومقام المدح يباين مقام الذّم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب،ومقام الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار؛جميع ذلك معلوم لكل لبيب ، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي،ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر(18)، وقد أضحى العالم اليوم يسهلك البلاغة تحت ضغط الحاجة تقتضي تواصلا يجلب المنفعة والتفاهم كما يعمل على تحديد المعنى ودلالته والمقام الذي قيل فيه حتى يتسنى للخطاب التواصلي النجاح، فإذا قال المتكلم (السلام عليكم)، فإن المقصد الحقيقي من هذا الكلام يكون حسب المقام الذي يستخدم فيه، فقد يكون المقصود التّحية وقد تتعدى إلى الاستهزاء أو اللهو (19)، يستخلص من هذا أنّ الخطاب مهما كان نوعه يفقد قيمته البلاغية والتواصلية بفقدان المقام ؛لأنّ هذا الأخير هو الذي يقوم بتفجير المصرّح والمضمر والمكبوت من المعاني التي يبوح بها الباث إلى المتلقي .

لكن تمام حسان يضع فرقا بيّنا بين لفظتي المقام والسياق، ويرجعه إلى الاختلاف في الثقافة الاجتماعية للمجتمعات، فيرى أنّ لفظ المقام لصيق بكلام العرب لهذا " فهم البلاغيون (المقام) أو (المقتضى الحال) فهما كونيا نمطيا مجردا ثم قالوا لكل مقام مقال (...)، فهذه المقامات نماذج مجردة، وأطر عامة، وأحوال ساكنة (...)، وبهذا يصبح المقام عند البلاغيين سكوني (**static**) فالذي أقصده بالمقام ليس إطارا ولا قالبا، وإنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءًا منه، كما يعتبر السامع والكلام نفسه، وغير ذلك مما له اتصال بالمتكلم (**speach events** ) ، وذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي ليشمل كل عملية الاتصال(...) ، وعلى الرغم من هذا الفارق بين فهمي وفهم البلاغيين للمصطلح الواحد، أجد لفظ المقام أصلح ما أعبر به عما أفهمه من المصطلح الحديث ( **context of situation**) الذي يستعمله المحدثون"(20).

ونحن بدورنا نساند رأي تمام؛ لأنّ المقام يتغير بحسب حالة المتلقي، وأنّ" مراعاة المقام تجعل المتكلم يعدل عن استعمال الكلمات التي تنطبق عن الحالة التي يصادفها خوفا أو تأدبا، بل يضطر المتكلم إلى العدول عن الاستعمال الحقيقي للكلمات فيلجأ إلى التلميح دون التصريح(21)، ولهذا يأتي استعمال مصطلح السياق بدل المقام في هذا المقال أنسب لما يحدثه من ثورة علمية في مجال تحليل الخطاب و كثرة تداوله في العلوم الحديثة وأيضا بسط سلطتنا في التحكم في المصطلحات، وقد قُسم السّياق حسب أنصار مدرسة لندن الذي يتزعمه "فيرث بما ليونوفسكي" إلى مايلي:

أ ـ السياق اللغوي :فهو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة مع كلمات أخرى مما يعطيها معنى خاصاً ؛ ذلك أن المعنى المعجمي عادة ما يتصف بالاحتمال، ولا يتحدد إلا إذا وضع في سياق.كما يوضح كثيرا من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياسا لبيان الترادف أو الاشتراك أو العموم أو الخصوص ونحو ذلك.

ب ـ السياق العاطفي أو النفسي والذي به يُحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية، ودلالتها العاطفية، كما يحدد درجة الانفعال قوّة وضعفا.

ج ـ أما سياق الموقف : ويدل على العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام، كما يهتم بالموقف الخارجي الذي تقع فيه الكلمة، وهذا المصطلح يقابله عند البلاغيين العرب مصطلح المقام.

د ـ السياق الثقافي فيقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، ويضاف على ذلك أنّ العديد من الكلمات لها ارتباط وثيق بالثقافة ،إذ تحمل وضعيات ثقافية معينة فتكون علامات على الانتماء العرقي والديني والسّياسي(22)، فلاشك من كلّ هذا أنّ أي خطاب مهما كان نوعه يلزمه السياق وهذا من أجل الوقوف على عمق معاني النص ودلالاته، لذا "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينهما وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات فيجعل كل طبقة من لك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقتسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، وتقسيم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات "23 ، فالجاحظ يرى أن معاني الخطاب نسق محكوم بسياق معين مقترن بما يتلقاه المتلقي.

أما عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) فقد جعل السياق منهجه في الوصول إلى دلالات الألفاظ ومعانيها قائلا:" وجملة الأمر أنّا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هو فيه ولكن نوجبها لها موصولة بغيرها ومعلقا معناها بمعنى ما يليها ، فإذا قلنا في لفظة (( اشتعل)) من قوله تعالى:﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ﴾ 24 إنها في أعلى المرتبة من الفصاحة لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها ولكن موصولا بها الرأس معرفا بالألف واللام ومقرونا إليها الشيب منكراً منصوباً"25 .

لقد عمد المفسرون على الإحاطة الكاملة بسبب مواضع نزول الآيات من حيث الأحداث والوقائع والسياق الذي قيلت فيه؛ لأنّ "كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ، وإلا صار ضحكة وهزأة، ألا ترى إلى قولهم : فلان أسد أو حمار أو عظيم الرماد، أو جبان الكلب، وفلانة بعيدة مهوى القرط، وما لا ينحصر من الأمثلة لو اعتبر اللفظ بمجرده، لم يكن له معنى معقول. فما ظنّك بكلام الله وكلام رسوله"(26)، وهذا دليل قويّ على الشهادة العينية التي يبديها السياق في الخطاب القرآني.

أما ابن القيم الجوزية (ت751هـ) ـ رحمه الله ـ فيرى أنّ السّياق أولى العناصر في تحديد غرض المتكلم في قوله ـ رحمه الله ـ."السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل والقطع بعدم الاحتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنويع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على المتكلم. فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته. فانظر إلى قوله تعالى ﴿ ذُقْ إِنَّك أَنْتَ الْعَزِيز الْكَرِيم ﴾(27) ، كيف تجد سياقه يدل على أنّه الذليل الحقير"(28). ويمكن أن نسوق مثالا آخر نوضح فيه كيف يشتغل السياق في إظهار الغرض الحقيقي عند تفسير آي القرآن، فقوله تعالى :﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾29 جاءت في "سياق ترجيح ما أمرهم به الرسول عليه الصلاة والسلام على ما تهواه أنفسهم، وضرب لهم مثلا لذلك

بحادثة كراهية الخروج إلى بدر في بدء الأمر ومجادلتهم للرغبة في عدمه، ثم حادثة اختيارهم لقاء العير دون لقاء النفير خشية الهزيمة، وما نجم عن طاعتهم الرسول عليه الصلاة والسلام ومخالفتهم هواهم ذلك النّصر العظيم والغُنم الوفير لهم مع نزارة الرزء، ومن التأييد المبين للرسول صلى الله عليه وسلم، والتأسيس لإقرار دينه"(30).أما جدل السياق الذي لاقته هذه الآية ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾(31) ، وقد اختلف في تأويلها المفسّرون يقول الطبري في كتابه جامع التنزيل: "اختلف فيمن عُنيّ بهذه الآية، فقال بعضهم: عُني بها نفر من المشركين، وقال آخرون :عُني بها المنافقون، وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال :إنه عُني بهذه الآية مشركو قريش، لأنها في سياق الخبر عنهم"(32). ويستخلص من هذا كله أننا لا يمكن أن نتحكم في المعاني الحقيقية للمفردات ونظام الجمل والنص إلا بالرجوع إلى الاستعمال الحقيقي لسياقها الخاص الذي قيلت فيه.

**4. حذف الحرف** :

يسعى المخاطِب أحيانا عُنوة إلى إسقاط بعض حروف الهجاء ليس كصورة أريد بها الجمال فحسب، أو أنها تستدعي ضرورة لغوية أو شعرية كما يتغنّى بها بعض اللّغويين؛ بل هي طريق بلاغي إقناعي يراد به السّيطرة على نفسية المتلقي، فيقيّد انتباهه ويُوقد فيه سجيّة التّأمل، يقول السيوطي ـ رحمه الله ـ : "هو أن يحذف المتكلم من كلامه حروفًا من حروف الهجاء بلا تكلّف ولا تعسّف، بأنّ يحذف كل حرف موصول ويأتي بالجميع مقطوعة أو عكسه أو يحذِف كل حرف منقوط ويأتي بالجميع مهملة أو عكسية، أو يأتي بكلامه متخالفًا حرف منه موصول وحرف مقطوع أو حرف معجم وحرف مهمل أو كلمة كل حروفها معجمة، وكلمة كل حروفها مهملة وهكذا، أو يلتزم حذف حرف واحد كالألف"(33).

إنّ موقع الحذف في الخطاب القرآني يشمل أصغر جزء في التركيب اللّغوي وهو الحرف، وأنّ وقوعه في السورة جاء مناسبا لسياق الآية ليدرك المخاطَب مدى أهمية الحذف، فقوله تعالى:﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾(34). فسقوط حرف النّون في قوله تعالى:" □ " ليس بسبب كثرة الجمل وثقلها فجاز حذفها، بل يرى الزركشي رأيا آخر أنّ حذف النّون في لام الفعل لم يحذف تخفيفا لثقل الفعل، أو اعتباطيا توافق عليه أهل اللّغة، لكنّ حذفه جاء " تنبيهًا على صغر مبدأ الشيء وحقارته، وأنّ منه ينشأ ويزيد، إلى ما لا يحيط بعلمه غير الله"(35)، فالله تعالى استصغر أعمال هؤلاء المشركين وما يعبدونه من الأصنام والأوثان، ليقنعهم أنّها لا تستحق العبادة، وأنّ عبادتها تُوجب عليهم العذاب الأليم يوم القيامة.ومن أمثلة حذف الحرف وذكره في آية أخرى دون الأخرى قوله تعالى في سورة عمران :﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾36 ، وقوله تعالى في سورة فاطر:﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾37، فالمتأمل للآيتين يقف مدهشا في الإعجاز البياني ، فقد حذفت الباء من كلمة (الزبر) وكلمة ( الكتاب)، وهذا في سورة آل عمران ، بينما ذكر في سورة فاطر ، وهذا الاختلاف جاء بفعل السياق يقو ابن عاشور: " إنّ سياق آية آل عمران كان في ردّ محاولة أهل الكتاب إفحام الرسول ؛ لأنّ قبلها :﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾38 ، وهذا في سياق أن لا تقبل معجزة رسول إلا معجزة قربان تأكله النّار، فقيل في التّفرد بهتانهم: قد كذبت الرسل الذين جاء الواحد منهم بأصناف المعجزات مثل عيسى عليه السلام ومن معجزات قرابين تأكلها النار فكذبتموهم، فترك إعادة الباء هنالك إشارة إلى أن الرسل جاءوا بالأنواع الثلاثة".39

أما ذكر الباء في سياق آية سورة فاطر فله دلالة مغايرة عن الأولى يقول ابن عاشور :" ولما كان مقام هنا لتسلية الرسول ﷺ ناسب أن يذكر ابتلاء الرسل بتكذيب أممهم على اختلاف أحوال الرسل ، فمنهم الذين أتوا بالبيّنات، أي: خوارق عادات فقط مثل: صالح وهود ولوط، ومنهم من أتوا بالزبر وهي المواعظ التي يؤمر بكتابتها وزبرها، أي تخططها لتكون محفوظة

وتردد على الألسن كزبور داوود وكتب أصحاب الكتب من أنبياء بني إسرائيل مثل أرمياء وإيلياء، ومنهم من جاءوا بالكتاب المنير، يعني كتاب الشرائع مثل إبراهيم وموسى وعيسى فذكر الباء مشير إلى توزيع أصناف المعجزات على أصناف الرسل"40. فذكر الباء جاء ليؤكد ويفصل أصناف المعجزات والرسل.

**5. حذف المسند إليه :**

ورد أسلوب الحذف في الجملة الاسمية، وذلك باستغناء على أحد الركنين هما المسند والمسند إليه، فقد يحذف المبتدأ تارةً والخبر تارة أخرى، وقد يحذف المبتدأ "لإيهام صونه عن اللّسان تعظيمًا له أو صون اللّسان عنه تحقيرا له أو للاحتراز عن العبث لدلالة القرينة عليه، أو لضيق المقام عن إطالة الكلام، أو للتخييل في تركه تعويلا على شهادة العقل(41)؛ بمعنى أنه قد يأتي لإنشاء المدح أو الذم وغيرهما .

تُستفتح أغلب سور القرآن عند بدايتها بالحروف المقطعة أو بما يسمَّى حروف التهجّي فنجد ﴿ألر،الم، كهيعص، حم، ص، ق، يس...﴾ والتي لم تأت اعتباطيا، بل جاءت لتعبّر عن دلالات ومقاصد وأغراض يحدّدها المتكلم(الله )، فهي مفاتيح للسّور، لأنّها تستحوذ على فكر المتلقي فتجعله أكثر نباهة وانتباهًا، وتأملاً بما سيلقى عليه من ترغيب وتحبيب، أو ترهيب ووعيد، فتشتّد نفسيته إلى معرفة المستقبل من الكلام، والله تعالى جعل أوّل خطابه بالحروف لما فيها من الإعجاز البياني والإقناعي وحسن الانتباه .ويأتي ذكر بعد هذه الحروف المقطعة، اسم القرآن وهذا ما أشار إليه الزركشي بقوله:"واعلم أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن العظيم"(42)، وهذا ما يظهر جليًا في بداية سورة هود مثلا، قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(43). وردت لفظة (كتاب) خبرا لمبتدأ محذوف إذ يُعدّ أصل الخطاب (هذا كتاب)؛ أي القرآن، فحُذف المبتدأ لعدة أسباب نذكر منها:

ـ أنّ القرآن الكريم كتاب الله المُعجز الذي حاجّ به النبي محمد ﷺ قومه، والذي تمّ فيه "إثبات نبوّة الأنبياء عليهم السّلام، وإقامة الشّرائع، وهذا يدلّ على جلال قدره(44). فهم يعلمون يقينا بهذا الكتاب، لهذا طال حذفه من الخطاب، وكذلك ليلفت الرسول ﷺ قومه بمنهج شريعة الإسلام ، وأنّه دستور حياة ونجاة يوم الآخرة.

ـ كما يُظهر القرآن الكريم مرّة أخرى أثر التّحدى والمحاججة في نظم التّأليف، في نظم بديع لاستمالة القلوب، كما هو إعلام مباشر أنّ القرآن دليل على نبوّة المصطفى ﷺ ، وأنّ عجزهم عن الإتيان بمثله وبما جاء به حجّة عليهم إلى يوم القيامة على كفرهم وجحودهم(45).

ـ إنّ الحذف الذي طرأ على المبتدأ جاء لقدسية المحذوف (القرآن)عند الذّات الإلهية ، وتنبيه المتلقي على سموّ منزلته.

ومن صور الحذف حذف الفاعل لينوب عنه المفعول في مقامه مع بناء الفعل للمجهول ،لقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْماءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(46).

تقدير الخطاب: وغاض الله الماء، وقضى الله الأمر، فحذف الفاعل " ومجيء أخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء، وأنّ تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل ...وأنّ فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله، فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره: يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي، ولا أن يقضي ذلك الأمر الهائل غيره، ولا أن تستوي السفينة على متن الجودي، وتستقر عليه إلا بتسويته وإقراره"(47)، فحذف الفاعل في هذه الآية جاء مناسبًا ومنسجما مع نظم الآية، التي تبيّن عظمة هذا الخالق فتغني عن ذكره في هذا المقام.وكذلك جاء مناسبا لمقام الذّات الإلهية، التي تتجلّى فيها صفة الكمال؛ فهو الآمر الموجد لهذا الكون، وهو يصف هذا الطوفان وصفًا دقيقًا تقف له القلوب والعقول حائرة لعظم هذا الهول في جلال وخشوع ، فهو مظهر من مظاهر قدرته المطلقة لهذا الكون، لهذا ثبت حذف الفاعل للدلالة على أنّ تلك الأمور العظام لا تتأتّى إلا من ذي سلطان، وهذا نوع من الاستدلال على عظمة هذا الخالق.

**6. حذف المسند:**

ومن أمثلة الحذف التي تطال الفعل، قوله تعالى:﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ (48). وقع حذف الفعل في الآية، وتقديرها ( وأرسلنا) ، ومثاله أيضا في موقع آخر، قوله تعالى :﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾(49). فجاء حذف الفعل، لأنّ عدم وجود الشيء الذي جعل "صالحا" منصوبا، بل "علم بذكر النبي والمرسل إليه أن فيه إضمار " أرسلنا"(50). لهذا ثمّة فرق بين قول الله تعالى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ وبين قولنا " أرسلنا وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا "، وقول الله أبلغ بيانًا وحجّة، لما يحمله من المعاني اللّطيفة وحسن التّمثيل، وأن حذف الفعل واجب في الآيتين؛ لأنّ مقام الخطاب يستوجب حذفه، وكذلك ،لأنّ الفعل المحذوف معلوم في ذهن المخاطب، لذا لا داعي لذكره ، فحذف الفعل في هذا المقام "يكتفي بدلالة الحال عليه، وتترك النّفس تجول بين الأشياء المكتفي بالحال عن ذكرها على الحال ... وبهذا القصد يُؤثر في المواضع التي يراد بها التّعجب والتهويل على النّفوس"(51)، وسياق الحال هنا يتحقّق فيه عنصر التّأثير والاستمالة .

**7. حذف المفعول به:**

يحذف المفعول به من الخطاب لعدّة أمور منها : لقصد الاختصار عند قيام القرائن والاحتقار والتّعميم ورعاية الفاصلة، والبيان بعد الإبهام، كما في مفعول المشية والإرادة(52)، ومثال ذلك، قوله تعالى:﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾(53)

جاء حذف المفعول به في " اعْمَلُوا "، وفي " وَارْتَقِبُوا " ، فغيابه عن المشهد الحالي للآية جاء ليحقّق التّأثير في النّفس من الرّهبة والتّخويف، ومن فظاعة الأمر الذي ينتظرهم، وفيه من التّهديد والوعيد الذي يجعل النّفس في حالة اضطراب وترقب. أما قوله تعالى :﴿ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ ﴾(54).

حذف المفعول به "الفلك" ،لأنّ المقام الذي سيقت فيه الآية لا يحتمل التّصريح به،لأنّ الموقف شديد الهول، وحياة الابن بين النّجاة أو الهلاك، وعاطفة الأبوّة حريصة على نجاة فلذّة كبدها، وحضور المفعول به "الفلك" كان حاضرا في ذهن النبي نوح عليه السلام وابنه، لأنّ لا وسيلة نجاة إلا به، فتغاضى عن ذكره، فالخطاب هنا حجاج عاطفي، لما فيه من إثارة العواطف والمشاعر للحالة النّفسية للابن، وتصوير فظاعة هذا الموقف لما فيه من القوّة والهول، وهذا من أجل إقناع ابنه بركوب السفينة.

**8. حذف الجواب :**

يحذف الجواب ليضع المتكلّمُ المتلقي أمام موقف يستوجب عليه إعمال فكره وتنبيهه على المراد من السّؤال، فيتردد في ذهنه جوابا، كما يهدف بالمتلقي إلى التوسّع في ضبط الأشياء وإعطاء حقّها في تقدير الأشياء ، وقد قيل أنّ "حذف الجواب يقع في مواقع التّفخيم والتعظيم، ويجوز حذفه لعلم المخاطب به، وإنّما يحذف لقصد المبالغة، لأنّ السّامع مع أقصى تخيّله يذهب منه الذهن كلّ مذهب، ولو صرّح بالجواب لوقف الذهن عند المصرّح به، فلا يكون له ذلك الوقع، ومن ثمّ لا يحسن تقدير الجواب مخصوصًا، إلا بعد العلم بالسّياق"(55).

والمتأمّل لبلاغة التّعبير القرآني يجد في آياته استغناءً عن التّفصيلات الجزئية التي تُعرف من السّياق، وفي تخطيها وصولٌ إلى العناصر الجوهرية في الخطاب ، ويمكن أن يدرك المتلقي ذلك دون حاجة إلى تفصيل أو تطويل(56)، ومن نماذجه قوله تعالى:﴿ قالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَماتَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(57) .

حُذف جواب إن الشّرطية لأنّ المقام غير لائق بذكره، أو لضيق المقام ، والقرآن الكريم من حسن بلاغته وتأثيره على القلوب أنّه يراعي مقام المخاطبين في إظهار الحجّة؛ وبهذا يأتي تقدير فصول الكلام الجزئي المحذوف حسب الرّازي بقوله: "أنّه

تعالى لما آتاني جميع السعادات الروحانية وهي البيّنة والسّعادات الجسمانية وهي المال والرّزق الحسن فهل يسعني مع هذا الإنعام العظيم أن أخون في وحيه وأن أخالفه في أمره ونهيه"(58)، وهذا تنبيه على أنّ "الإعزاز من الله تعالى والإذلال من الله تعالى أيضا، وإذا كان الكلّ من الله تعالى فأنا لا أبالي بمخالفتكم ولا أفرح بموافقتكم، وإنّما أكون على تقرير دين الله وإيضاح شرائع الله تعالى"(59)، ما يدلّ حذف جواب الشّرط على وضع المتلقي أمام آلة العقل والتّبصر، ولتذهب النّفس عنه كل مذهب من خلال إعمال الفّكر ومخاطبة العقل الذي يؤدي إلى قبول الحق لا محالة، وقد انتهت هذه الأجوبة على أن العاقل يجب أن يراعي حقوقًا ثلاثة أهمّها حقّ الله، وحقّ النّفس وحقّ العباد على التّرتيب(60).

كما يأتي حرف "لو" في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾(61)، إذ يقوم عدم الجواب على قرينة سياقية أنّ "لو" للتّمني وليست شرطًا، فالأصل كما قال محمد بن إسحاق : معناه لو أنّ لي قوّة لحِلْت بينكم وبين المعصية"(62)، والشيء الذي يجب التنبيه إليه هنا أنّ الحذف يجعل المتلقي أو المستمع "كلما مرّ بموضع من مواضع الحذف تضاعفت يقظته إذا كان يقظًا أو تنبّه إذا كان غافلًا، أو تجدّد نشاطه إذا كان قد فتر نشاطه(63)، وهذه العناصر من شأنها تعمل على تقوّية الحجّة وازدياد وعي المتلقي لما يلقى عليه من خطابات .

**9. الحذف المقابليّ:**

هذا النّوع من الحذف يسمّى الاحتباك عند اللغويين وهو من الأساليب البلاغية الهامّة التي يحاجج بها المخاطب حسب مقتضيات المقام، ويعني به "شدّ الإزار، وكل شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته، والمحبوك ما أجيد عمله، والحبك: الشّد والإحكام"(64). يوحي المعنى إلى الإتقان وقوّة الإحكام .أما الزركشي فيعرّفه بقوله :"وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كلّ واحد منهما مقابله، لدلالة الآخر عليه "(65)؛ أي بمعنى "أن يحذف من الأوّل ما أثبت نظيره في الثّاني، ومن الثّاني أن يحذف نظيره في الأوّل قال الله تعالى :﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾(66) . إنّ المعنى الحقيقي الأصلي أنّها تدخل (غير بيضاء) حذف المقابل الأوّل وحذف المقابل الثاني و(أخرجها ) تخرج بيضاء، ويعلّق عنه السجلماسي: "وهذا النوّع بالجملة هو من القول الجميل ذي الطّلاوة والبهجة والماء والعذوبة، الجزل المقّطع، الغريب النّزع، اللّذيذ المسموع، لما بين أجزائه من الارتباط، ولما في النّفس الناطقة من الالتذاذ بإدراك النّسب والوصل بين الأشياء، ثمّ بإبراز ما في القوّة من ذلك إلى الفعل والشّعور به"(67) . ومن أمثلته أيضا، قوله تعالى:﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴾(68)، فالحذف الذي وقع في هذه الآية ينطلق من مقابلات بين الألفاظ من شق، ونجد المقابل من شقّ آخر، وأنّ الله تعالى حذف عنهم البراءة في الجزء الأول فالأصل:"فإن افتريته فعليّ إجرامي وأنتم برآء منه، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون فنسبة قوله تعالى:" إِجْرَامِي "، وهو الأوّل إلى قوله :"وعليكم إجرامكم"، وهو الثالث كنسبة قوله:"وأنتم برآء منه"، وهو الثاني. إلى قوله تعالى:﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾، وهو الرابع، واكتفى من كلّ متناسبين بأحدهما"(69).فالرسول صلى الله عليه وسلم أبْلَغَ المشركينَ بما يثيرونه عليه من افتراء القرآن، فجاء هذا الحذف " إفادة تبرئة نفسه من أن يفتريَ القرآن فإن افتراء القرآن دعوى باطلة ادعوها عليه فهي إجرام منهم عليه، فيكون المعنى وأنا بريء من قولكم الذي تجرمونه عليّ باطلا"(70)، فالحذف المقابلي هو بمثابة إثبات الحجّة وإحداث نوع من الإقناع ، من خلال حذف المقابلات فيترك في المتلقي أثرا نفسيا "يتمثل في بعث الفكر وتنشيط الخيال وإثارة الانتباه، ليقع السّامع على مراد الكلام ويستنبط معناه من القرائن والأحوال، وهكذا يكون للقرآن الكريم أثر في النّفس يثير الوجدان ويرهف الإحساس والمشاعر، ويوقظ الإدراك والتّفكير، فإذا الإنسان جديد كأنه خلق جديد"(71)، ومن هنا يُعد الحذف المقابلي من الآليات الحجاجية التي يستعين بها المخاطَب في إقناع المتلقي، ونمثل هذا المثال بالشكل المقابل:

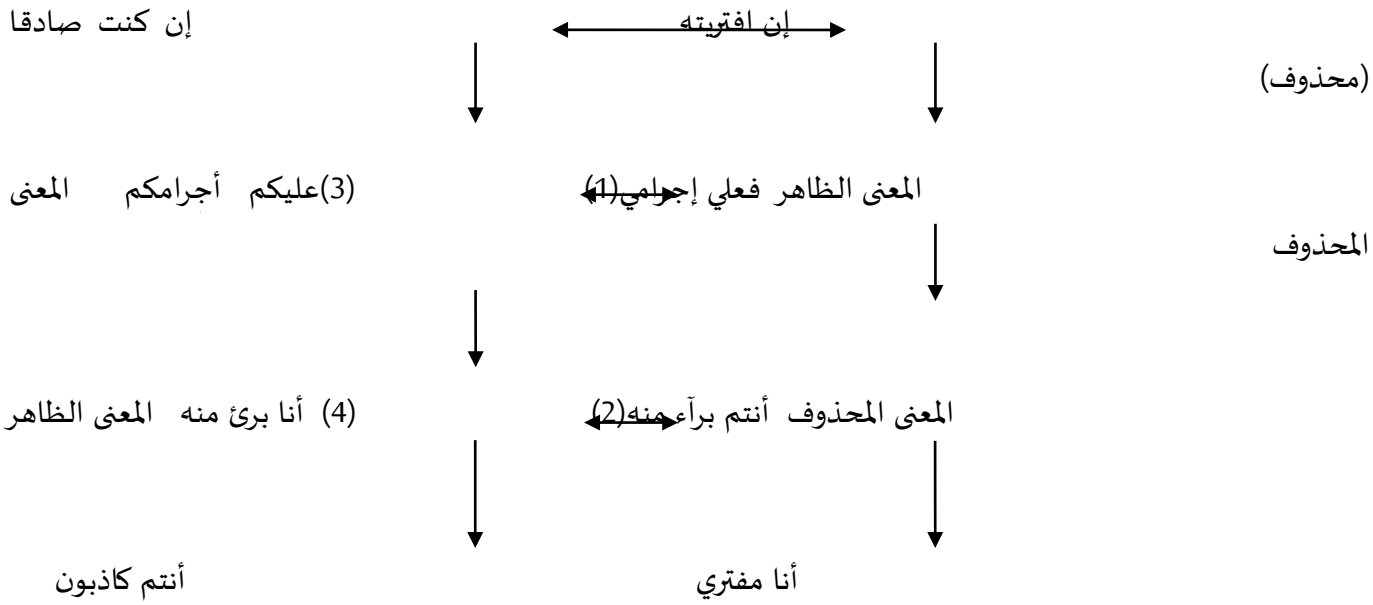


**خاتمة:**

خاطب القرآن الكريم الناس على اختلاف ألسنتهم وبيئتهم ، واستعمل معهم ألوانا عديدة من الخطابات في توجيهه للدعوة ، فاستعمل المنطق الذي يعتمد على الحجج والبراهين العقلية ، واستعمل الأسلوب القصصي وما يحمله من أخبار الأمم السابقة وما لحقهم من عذاب وتدمير، كما يُعد قدوة للإنسان على مرّ الأزمان وكلٌ من يحيل عن المنهج الرباني ، كما استعمل الأسلوب البلاغي والوجداني الذي يستميل القلوب قبل العقول ،لأن هناك من الطبائع البشرية مازالت تحافظ على الفطرية السليمة التي لم يخدشها شرّ أو مكروه ، أما الأسلوب الذي حظي بالدراسة هو أسلوب الحذف أو ما يسمى ببلاغة الصمت ، هذا الأخير يُعدّ عنصرا مهما في اللسان العربي، وطيفا متميزا في بلاغة القرآن، لما يقدمه من حجج إقناعية على كل من قصّر أو أنكر الإيمان، وقد أُستخلص من هذه الدراسة النتائج الآتية:

- ❖ الحذف أبرز الوسائل الشعرية والاقناعية التي يسقط فيها المبدع بعض عناصر البناء اللغوي، وتتجلى أهميته في تنشيط خيال المتلقي في استدراج المحذوف من الخطاب وتقديره. كما أنّه يبني في النص الأدبي إبداعا جديدا يجعل المتلقي أكثر تشوّقا وإثارة.
- ❖ يُعد أسلوب الحذف رافدا مهما في استراتيجية التواصل والإقناع ، ولجوء القرآن إلى هذا الأسلوب في كثير من آياته لدليل واضح على عمق أثره في العقول والنفوس، فهو يعالج أغراض ومقاصد الناس بعيدا عن التطويل المستكره والحشو الذي لا معنى له.
- ❖ يأتي أسلوب الحذف أحسن وسيلة لنقل الفكرة و المشاعر إلى المتلقي بكيفية تبعدنا عن الملل والكلل، فيلقي بفكر المتلقي إلى التّدبر والتّمعن وحسن البيان والانسجام في تحليل الخطاب.
- ❖ لا يقع الحذف إلا إذا توفرت شروطا هامة، نذكر منها يقظة كل من المخاطَب والمتلقي ، حضور السياق الدال على الخطاب مع وجود القرينة الدالة على ذلك.

**قائمة المصادر والمراجع:**


ـ القرآن الكريم.

ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1948)، البيان والتبيين، تحقيق،ع السلام محمد هارون ، القاهرة ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاد.

ـ ابن وهب، (1982)، البرهان في وجوه البيان: تحقيق، حنفي شرف ، دار الكتب العلمية، بيروت.
ـ الحموي، ابن حجة، (1991)، خزانة الأدب وغاية الأرب، ط2، شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
ـ الخفاجي، ابن سنان، (1969)، سرّ الفصاحة، شرحه وصححه عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده.
ـ ابن ابي الاصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق، ج2، حفني محمد شرق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة.
ـ العلوي، يحي بن حمزة، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
ـ اوليفي، روبول (1991م )، هل يمكن ان يكون حجاج غير بلاغي،نقلا عن سامية الدريدي ،الحجاج في الشعر.
ـ خطابي، محمد ، (1991)، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
ـ الدهيري، أمينة ، (2014)، كتابة الصّمت، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، العدد رقم 1، يوليو.
ـ الجرجاني، عبد القاهر، (2014)، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة .
ـ المرتضى، الشريف، (1954)، أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، ط1،ج2، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.
ـ الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، (1991)، تأملات في القرآن الكريم،ط1، دار القلم، دمشق.
ـ محمد مشبال، في بلاغة الحجاج ،نحو كقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان .
ـ حسان، تمام، (1994)، اللّغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.
ـ فريد عوض حيدر(2005)، علم الدلالة،ط1، مكتبة الآداب، القاهرة.
ـ السكاكي، أبو يعقوب، (2000)، مفتاح العلوم، ط1، تح،عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
ـ الغزالي، أبو حامد، المستصفى من علم الأصول، ج2، اعتناء ناجي السويد.
ـ حسان، تمام ،(2000)، الأصول، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النّحو، فقه اللغة، البلاغة، عالم الكتب، القاهرة.
ـالشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، (1997)، الموافقات، علق عليه، أبو عبيدة بن حسن آل سليمان، دار عفان للنشر، المملكة العربية السعودية.
ـ الجوزية، ابن القيم ، بدائع الفوائد، ج2، تحقيق، علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر.
ـ الطاهر بن عاشور(1984)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.
ـ مطلوب ، أحمد، (2007)، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان.
ـ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ج2،تحقيق، يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون،دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.
ـ أبو شادي، مصطفى عبد السلام: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة.
ـ الزّجّاج ، أبو إسحاق إبراهيم السري، (1988)، معاني القرآن وإعرابه، تح، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب.
ـ الزمخشري، أبو القاسم، (2009)،الكشاف، عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ج2، علق عليه ، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت.
ـ باطاهر، بن عيسى(2006)، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
ـ بدوي، أحمد أحمد، (2005)، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.
ـ الرازي ،محمد فخر الدين،مفاتيح الغيب، دار الفكر، لبنان، بيروت..
ـ البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
ـ السجلماسي، أبو محمد القاسم، (1980)، المنزع البديعي في تجنيس أساليب البديع، تحقيق، علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب.
ـ عدنان مهدي الدليمي(2013)، الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية، دراسة في سور الطواسين،ط1، دار غيداء، عمان، الأردن.

**الاحالات والهوامش:**

([1]) ـ الجاحظ : البيان والتبيين، تحقيق،ع السلام محمد هارون ، القاهرة ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاد، ج1 ، ص115-116.

([2]) ـ ابن وهب: البرهان في وجوه البيان: تحقيق، حنفي شرف ، دار الكتب العلمية، بيروت،(د ـ ط)، 1982، ص69.

(3) ـ ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت،ط 2، 1991، ص274.

(4) ـ ابن سنان الخفاجي: سرّ الفصاحة، شرحه وصححه عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، 1969،ص197.

(5) ـ ابن ابي الاصبع: تحرير التحبير، تحقيق،حفني محمد شرف، ص662.

(6) ـ العلوي يحي بن حمزة: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،(د ـ ط)، ص259.

(7) ـ الطراز،ج2،ص51.

(8) ـ اوليفي روبول : هل يمكن ان يكون حجاج غير بلاغي،نقلا عن سامية الدريدي ،الحجاج في الشعر، ص123.

(9) ـ محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991م،ص95.

(10) ـ أمينة الدهري:كتابة الصّمت، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، العدد رقم 1، يوليو،2014، المغرب، ص13.

(11) ـ الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط5، 2004م، ص146.

(12) ـ ابن وهب:البرهان في وجوه البيان، ص69.

(13) ـ الشريف المرتضى: أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ج2، ط1، 1954، ص309.

(14)ـ أبو الحسن علي الحسيني الندوي: تأملات في القرآن الكريم،دار القلم، ط1، 1991، دمشق، ص93

(15) ـ محمد مشبال:في بلاغة الحجاج ،نحو كقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان ، ص31.

(16) ـ تمام حسان: اللّغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د ـ ط)،1994، ص337.

(17) ـ فريد عوض حيدر: علم الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005، ص157.

(18) ـ السكاكي: مفتاح العلوم، تح،عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 2000م ، ص 168.

(19) ـ ينظر: الغزالي، المستصفى من علم الأصول، اعتناء ناجي السويد، ج2، (د ـ ط)، ص49 .

(20) ـ تمام حسان: الأصول، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النّحو، فقه اللغة، البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، 2000م، ص303 ـ 304.

(21) ـ ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، طبعة منقحة، 2008م، ص 358 .

(22) ـ ينظر: أحمد محمد قدور، ص 356 ـ 358 .

(23) الجاحظ: البيان والتبيين ،ص87 -88.

(24) سورة مريم: الآية 04.

(25) دلائل الإعجاز، ص299.

(26) ـ أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي: الموافقات، علق عليه، أبو عبيدة بن حسن آل سليمان، دار عفان للنشر، المملكة العربية السعودية، ط1، 1997، ج3، ص 419 ـ 420.

(27) ـ الدخان الآية: 49.

(28) ـ ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد، تحقيق، علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر، ج2، (د ـ ت)، ص1314.

[29] سورة الأنفال: الآية 01.

(30) ـ الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج09 ،1984، تونس،ص302.

(31) ـ سورة الأنفال: الآية 22ـ 23.

(32) ـ الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، حققه، بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، ج4، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط1، 1994، ص25.

* لقد ثمّة فروقا بين الإيجاز والحذف والإضمار، أما الأوّل فانّه عبارة عن اللفظ القليل الجامع، للمعاني الجمّة بنفسه، وأما الثاني فالشرط فيه أن يكون فيه ثمّ مقدر، نحو قوله تعالى :﴿واسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يوسف 82، أما الإضمار فالشرط فيه بقاء أثر المقدّر في اللّفظ، نحو قوله تعالى :﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾الإنسان 31 .(للاستزادة ينظر: بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج3، ص174.

(33) ـ أحمد مطلوب:معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، إعادة طبع 2007، ص457.

(34) ـ سورة هود:الآية 109.

(35) ـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق، يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون،دار المعرفة ، بيروت ، لبنان،ج2، ص37.

(36) سورة آل عمران : الآية 184.

(37)سورة فاطر: الآية 25.

(38)سورة آل عمران : الآية183.

(39) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج22، ص152 -153.

(40) الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، ج22، ص153.

(41) ـ مصطفى عبد السلام أبو شادي: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة، (د ـ ت)، ص17.

(42) ـ الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص259.

(43) ـ سورة هود:الآية 01.

(44) ـ ينظر: أبو إسحاق إبراهيم السري الزّجّاج: معاني القرآن وإعرابه، تح، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1 ،1988، ج3، ص56.

(45) ـ ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 265 ـ 266.

(46) ـ سورة هود: الآية 44.

(47) ـ الزمخشري: الكشاف، عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، علق عليه ، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009.

ج12، ص485.

(48) ـ سورة هود: الآية 50.

(49) ـ سورة هود: الآية 61.

(50) ـ بدر الدين الزركشي:البرهان في علوم القرآن، ج3، ص276.

(51) ـ باطاهر بن عيسى: أساليب الإقناع في القرآن الكريم، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص159.

(52) ـ ينظر، الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص234ـ239.

(53) ـ سورة هود: الآية 93.

(54) ـ سورة هود: جزء من الآية 42.

(55) ـ الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص254.

(56) ـ ينظر: أحمد أحمد بدوي: من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د ـ ط)، 2005م، ص 127.

(57) ـ سورة هود: الآية 88.

(58) ـ الرازي محمد فخر الدين : مفاتيح الغيب، دار الفكر، لبنان، بيروت ، ج12، ص 46.

(59) ـ الرازي: مفاتيح الغيب، ج12، ص 47 .

(60) ـ ينظر:إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د ـ ط) ، ج9، ص358 ـ 359.

(61) ـ سورة هود: الآية 80.

(62) ـ الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص257.

(63) ـ مصطفى عبد السلام أبو شادي: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص152.

(64) ـ أحمد مطلوب:معجم المصطلحات البلاغية، ص35.

(65) ـ الزركشي: البرهان في علوم القرآن،ج3، ص199.

(66) ـ سورة النمل: الآية12.

(67) ـ أبو محمد القاسم السجلماسي: المنزع البديعي في تجنيس أساليب البديع، تحقيق، علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1980م، ص195.

(68) ـ سورة هود: الآية 35.

(69) ـ الزركشي:البرهان في علوم القرآن، ص201.

(70) ـ الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير،ج12، ص65.

(71) ـ عدنان مهدي الدليمي: الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية، دراسة في سور الطواسين، دار غيداء، عمان، الأردن، ط 1 ، 2013م، ص56.